مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية

اسم المقال: التجارة وأهميتها في شمال بلاد الرافدين ما بين عامي (1900- 612 ق.م)
اسم الكاتب: أمل الكفري د. حسان عبد الحق
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/2731
تاريخ الاسترداد: 2026/11/02 11:22 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

التجارة وأهميتها في شمال بلاد الرافدين ما بين عامي (1900– 612 ق.م)

أمل الكفري* د. حسان عبد الحق**

الملخص

لقد لعبت بلاد آشور عبر تاريخها الطويل دورًا مهمًا في الحياة التجارية في منطقة الشرق القديم، إذ كانت تمثل حلقة اتصال رئيسية بحركة التبادل التجاري بين بلاد الأناضول وبلدان البحر المتوسط من جهة، وبين الأقسام الوسطى والجنوبية من أراضي بلاد الرافدين من جهة أخرى؛ إذ كانت تمر عبرها طرق المواصلات التجارية التي كانت تصل ما بين البحر المتوسط والخليج العربي وبحر العرب، ومن الغرب باتجاه الهند وبالعكس. كما كانت تقع بلاد آشور على خطوط المواصلات البرية التي تصل بين الشمال الشرقي والجنوب الغربي، ويمثل وجود السلاسل الجبليّة في الشمال والشمال الشرقي صعوبات بالغة للتجار الذين يتبعون الطرق البرية.

وتأتي أهمية البحث من أن بلاد الرافدين خاصةً والشرق القديم عامةً كانت منشأ للحضارة منذ عصور ما قبل التاريخ، فدخلتها أقوام عدّة (كالآشوريين) حاملة ثقافات متعددة، مهاجرة إليها نظرًا لإمكانياتها المتوافرة التي نادرًا ما كانت تظهر في مناطق أخرى، فأسهموا بإنشاء المراكز التجارية وتهيئة الطرق التي امتدت من بلاد الرافدين وحتى غرب آسيا الصغرى وغرب المتوسط، وكانت القوافل التجارية التي تسير على طول تلك الطرق واصلة ببضائعها شواطئ آسيا الصغرى وعائدة بالعديد مثلها، وكان أهمها النحاس والذهب والفضة والأحجار الكريمة والأخشاب، وكانت هذه الأنشطة

* طالبة ماجستير – قسم التاريخ– تاريخ الشرق القديم– كلية الآدب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق.

** دكتور- قسم التاريخ– تاريخ الشرق القديم– كلية الآدب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق.

التجارية تمارس بحرية لدى فئات المجتمع الرافدي وعناصره وعلى وجه الخصوص الآشوري، الذين كانوا متصدرين المنطقة الشمالية في ذلك الوقت، وإن الهدف الأساسي للبحث هو بيان الدور التجاري المهم على مدى قرون من الزمن ،وإسهامه في نهضة المنطقة الاقتصاديّة والعمرانيّة.

المنهج المتبع في هذا البحث: المنهج التاريخي(الوصفي) الذي لا يكاد يخلو من التحليل والاستنتاج بالاعتماد على بعض النصوص الملكية الآشورية.

تتلخص أهم النتائج: أن المناخ أسهم بدور كبير في جعل الاقتصاد الأساس في المنطقة الشمالية من بلاد الرافدين (بلاد آشور)، وأسهم النقص الذي عانته المنطقة ككل في المواد الضرورية الأولية من تمتين علاقاتها بالدول والممالك المجاورة وتعميقها، وهذا ما جعلها تعتمد على التجارة في جلب تلك الموارد من المناطق الموجودة فيها ، كما جعلها منطقة عسكرية تقوم على حماية قوافلها وطرقها بالدرجة الأولى.

الكلمات المفتاحية:

الشرق القديم، غرب المتوسط، غرب آسيا الصغرى، المراكز التجارية، العراق القديم.

Trade and Its Importance in North Mesopotamia (1900-612 B.C)

Dr ..Hassan Abdel Haq **Amal Alkafri**

Abstract

Research Topic: Throughout its long history, Assyria played a significant role in the commercial life of the Ancient Near East since it was a main connecting link in the activity of trade exchange between Anatolia and the Mediterranean countries on the one hand, and central and southern Mesopotamia on the other. Trade routes which linked the Mediterranean sea with the Arabian Gulf and the Arabian sea ran through this region as well as those which extended from the west of Assyria towards India and vice versa. Furthermore, Assyria was located on the land routes that connected the North-East and the South-west. However, mountain ranges running on the north and the north-east posed serious difficulties to the merchants who took these routes.

Significance of the research: Ancient Near East, and particularly Mesopotamia, was where civilization emerged in the Prehistoric era. Numerous human groups from various cultural backgrounds immigrated into Mesopotamia given the regions' features that were seldom available in other areas. Trade emporiums were set up as a result, and roads were paved, extending from Mesopotamia to western Asia Minor. Along these roads, trading caravans travelled to transport goods to Europe across the sea and came back loaded with them. Copper, gold, silver, precious stones, and wood were among the major goods carried back. These trading activities were practiced freely by the groups of the Mesopotamia society, especially the Assyrians who were at the forefront of northern Mesopotamia at the time.

Main Objective: Demonstrating the significant commercial role that Assyria played over centuries and the resultant economic and construction boom in the region.

Research Methodology: Historical descriptive curriculum, which is hardly devoid of conclusions and analysis by relying on certain Assyrian monarchical texts.

Conclusions: Climate resulted in economy being fundamental to northern Mesopotamia (Assyria).The regions' lack of natural resources to enhancing its relations with the nearby countries and kingdoms. Due to this lack, Assyria relied on trade to bring the needed resources from the countries in which they were available. Moreover, the region became a military zone, engaged in protecting its roads and caravans in the first place.

Key words: Ancient The East, Western Mediterranean, Western Asia Minor, trade emporiums, ancient Iraq.

المقدمة:

تعد التجارة إحدى السمات البارزة في حياة الآشوريين إبان عصورها الثلاثة، وفضلا عن أن بلاد آشور بلدا زراعيا تعتمد فيه على المنطقة المحصورة ما بين وادي دجلة الضيق وامتدادات ذلك النهر، فأنها سعت إلى جانب ذلك للسيطرة على الطرق التجارية وإيجاد منافذ تجارية جديدة تضمن الازدهار لها، هذا فضلًا عن افتقار بلاد آشور للمواد الأولية الضرورية التي سعى الملوك الآشوريين إلى تأمينها عن طريق الحروب وغيرها مع البلدان المجاورة من أجل إنعاش الاقتصاد الآشوري، وقد اقتضت هذه الدراسة الإشارة إلى التجارة في بلاد آشور بعصورها الثلاثة القديم والوسيط والحديث فتناولت أولًا دراسة المميزات الطبيعية والتجارية في بلاد آشور، ثم تم الانتقال إلى دراسة التجارة الداخلية في المملكة الآشورية وطبيعتها كما برز الحديث عن نصوص حسابات وتنظيم القوافل التجارية ومن ثم قسّم البحث للحديث عن التجارة في كل عصر على حدة، وأخيرًا، تم الانتقال إلى الحديث عن دراسة التجارة الخارجية وأنواعها وأشكالها وأهم الموارد المتاجر بها في المملكة الآشورية وكذلك أهم الموارد المستوردة، وهدف هذه الدراسة التوصل إلى أن الآشوريين كانوا سادة الشرق القديم تجاريا في تلك المنطقة خلال تلك المدة من الزمن.

الدراسة المرجعية:

تعدّ الدراسات المرجعية من أهم ما يغني البحث ويعززه بأدلة وشواهد ضمنية ويوفر له القوة والمتانة، كما يضيف إليه عددًا من النتائج التي ستبرز بدراسة بعض الجوانب ومنها أهمية التأثير التجاري في الوضع الحياتي والمعيشي في المملكة الآشورية خلال كل عصر، وهناك عدد من المصادر والمراجع التي تفيد البحث وتدعمه، وهي ذات فائدة كبيرة ليس للبحث فحسب بل لتاريخ الشرق القديم عمومًا، منها ما هو مهم جدًا ومنها ما هو أقل أهمية . وتم الاعتماد على كتاب طه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الذي يعدّ مصدرًا أول قيمًا جدًا لما يحتويه من معلومات تتحدث عن منطقة بلاد الرافدين

ومميزاتها، وهناك مؤلفات هاري ساغز (قوة آشور وعظمة آشور)، وجورج رو (العراق القديم)، وبعض المراجع الأجنبية المهمة.

Oates،D (Studies in the Ancient History of Northern Iraq). Larsen،M.T(Old Assyrian Caravan Procedures).

فهذه المصادر والمراجع العديدة التي تلقي الضوء الأكبر على الدور السياسي والعسكري الذي لعبته المنطقة من أجل الحفاظ على استمرار تجارتها شرقًا وغربًا، وإن لم يذكر هذا بوضوح فسيقوم البحث بشرحه شرحًا مفصلًا بإلقاء الضوء على كيفية تطور التجارة من العصر القديم وحتى العصر الحديث وبيان أهمية التجارة على الصعيدين الداخلي والخارجي وتوضيح أنواع الموارد المصدرة والمستوردة من الخارج.

أولًا: المميزات الطبيعية والتجارية لمنطقة شمال بلاد الرافدين:

لقد كانت المنطقة الشمالية من بلاد الرافدين (بلاد آشور) ذات طبيعة تلية متموجة تضم عددًا من السهول والأراضي الزراعية الواسعة والوديان[1]، فكانت بأقسامها وسهولها الزراعية تؤلف وحدة جغرافية متكاملة، وكان يظهر التباين في المناخ والتضاريس بين منطقة وأخرى، فقد سادت معظم أجزاء المنطقة ظاهرة التموج فكثرت فيها الجبال والسهول والأودية ما سهل حركة الإنسان والجيوش والقوافل التجارية من خلالها[2]، وهذا الأمر الذي جعل سهولها خصبة بشكل عام صالحة للزراعة؛ إذ إن سقوط الأمطار في أجزاء كبيرة من البلاد أتاح لها فرصة الاعتماد على الموارد الزراعية اعتمادًا كبيرًا وتصديرها في سبيل الحصول على الموارد التي لا تنتجها، وأيضًا وفرة الموارد المائية التي تدعم ذلك فتتوافر فيها الأنهار كالزاب الأعلى والأسفل حتى مصبهما في نهر دجلة الذي يخترق البلاد من شمالها الغربي وحتى جنوبها الشرقي ما يجعلها تشكل المصدر الرئيس لمياه الشرب للإنسان والحيوان وسقاية الأراضي[3]، وعلى الرغم مما امتازت به

[1] Oates،D:**Studies in the Ancient History of Northern**، Iraq،1968، p. 7.
[2] ساكز، هاري: **قوة آشور**، تر عامر سليمان، بغداد، 1999، ص 13–14.
[3] باقر، طه: **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، بغداد، ج1، ط1، 1963، ص 473.

بلاد آشور من خصائص جغرافية جعلتها بلدا زراعيا وافرا، إلا أنها لم تكن كافية لقيام دولة مزدهرة؛ إذ كانت تفتقر لعدد من المواد الأولية من المعادن كالنحاس والفضة والذهب وبعض أنواع الأخشاب كالأرز والأبنوس، التي كان وجودها في مناطق خارج المملكة الآشورية، ويصعب الحصول عليها دون خوض الحروب، فكان الآشوريون يحصلون على النحاس من كبادوكيا ومن ديلمون والحديد من منطقة يرجاني–مادين في بلاد الأناضول وأن سيطرة الآشوريين على هذا المعدن وتسخيره لصالح المملكة الآشورية كان يعني السيطرة على حياة الشرق القديم؛ إذ استعمله الآشوريين في صنع أسلحتهم وآلاتهم العسكرية المستخدمة في حروبهم، وكان هذا عاملًا كافيًا لتوجيه السياسة الآشورية الخارجية للحصول على تلك المواد من مصادر خارجية، وكما أن بلاد آشور كانت تحتوي على الأشجار علمًا أنها لم تكن تغطي متطلبات المملكة المتزايدة، وهذا ما دفع الآشوريين لتأمينه من الخارج سواء من جبال لبنان أو جبال طوروس وغيرهما[4]، لذا حرص الآشوريين على إحكام سيطرتهم على المناطق الغنية بالأخشاب كما في المناطق الغنية بالمعادن، وهذا ما أدى إلى اصطدامهم بالممالك التي جاورتهم، كما عمل الآشوريين على تصدير معدن القصدير بكميات ضخمة جدًا إلى بلاد الأناضول فلعبوا دور الوسيط لهذا المعدن، مقابل الحصول على معدن الذهب والفضة باستمرار لافتقار المنطقة إليهما[5]، بذلك لعبت بلاد آشور دورًا هامًا عبر تاريخها الطويل في الحياة التجارية.

ثانيًا: أهمية التجارة الداخلية:

تجلت أهمية التجارة على صعيد السياسة الداخلية للملوك الآشوريين الذين أشاروا إلى دورهم في دعم التجارة الداخلية وتعزيزها، وتجلى ذلك واضحًا في كتابات بعض الملوك الذين ساهموا في تحسين الزراعة بإدخالهم زراعة بعض المنتجات مما انعكس إيجابيا على تخفيض أسعارها، إلى جانب الزراعات التي كانت موجودة وتوسعوا في زراعتها

[4] الأحمد، سامي سعيد: **التجارة موسوعة الموصل الحضارية**،ج1، بغداد، 1991، ص 185 .
[5] إيفاكانجيك، كيرشباوم: **تاريخ الآشوريين القديم**، تر فاروق اسماعيل، دمشق، 2008،ص46.

كزراعة السمسم وأشجار الزيتون والحصول على الزيوت الوفيرة منها واستخدامها في الطقوس الدينية والدنيوية.[6]

كما يذكر في نصوص وكتابات أخرى للملوك الآشوريين، أن تأثير غنائم الحرب كانت من الأمور الأساسية التي أدت إلى خفض الأسعار للمواد التجارية في المنطقة نتيجة الحصول على بعض الموارد التي كانوا يجلبونها من حملاتهم العسكرية؛ إذ جاء في تعداد للثروة الحيوانية ما يأتي: "الممتلكات التي لا حصر لها والتي لم يستلم آبائي مثلها ، كدستها في مدينة دور شروكين وفي بلاد آشور اشترى (الأشياء) بسعر الفضة كما بالنحاس".[7]

أيضًا تجلت أهمية التجارة بوضوح على المستوى الفردي من حيث ورودها في نصوص المملكة، فعلى سبيل المثال جاء في النص الآتي ما يلي: "إذا رعد الإله أدد في اختفاء القمر فسوف يكون الحصاد وفيرًا والأعمال مستقرة ".[8]

وفي نص آخر يذكر: "إذا ظهر القمر في وقت غير ملائم فإن الأعمال ستنهار"، وهذا كان يعني أن الزراعة متعلقة بالأمور الدينية وبمباركة الآلهة بعض الشيء.[9]

أما التجارة على صعيد واقع الحياة اليومية فيمكن القول إن ما تم الكشف عنه من آثار بين أنقاض المدن الآشورية الرئيسية كـ(نينوى وآشور وكالخ) تكشف عن أعداد هائلة من العقود والوثائق الاقتصادية المختلفة بأنواعها كعقود البيع والإيجار والقروض والرهائن والدين ...إلخ ، وهذه الوثائق تعكس حجم التجارة والتبادل التجاري التي كانت عليها بلاد آشور في ذلك الوقت، كما يمكن الوصول بواسطة تحليل تلك الوثائق والعقود إلى الحرية في ممارسة مختلف الأنشطة التجارية لكل فئات المجتمعات الآشورية وعناصرها

6 Luckenbill:**Ancient Records of Assyrian and Babylonian**،vol 1،Chicago،1926، pp. 223. 225.
7 Luekenbill، (1926)، p. 226.
8 Ibid، p. 229.
9 Reynolds،F:**The Babylonian Corspondence of Esrahaddon(SAA)**،vol18،Finland، 2003، pp. 1.2.

وأفرادها، التي كانت في بعض الأحيان تقوم بعقد الصفقات التجارية شخصيًا، كما توضح لنا الوثيقة الآتية: "تعاقدت شدت بنت سين– أخي– ريب، ملك بلاد آشور وأخت آشور – أخ– أدين ملك بلاد آشور واشترت (تلك الأملاك) بسعر 8 منو من الفضة حسب منو مدينة كركميش). يلاحظ من تحليل هذه الوثيقة أن بعض الصفقات التجارية كانت تقام من قبل أفراد العائلة المالكة الآشورية (أي بدءًا بأعلى المراتب وصولًا للمجتمع كلّه)، والتي تعقد من قبل أفرادها شخصيًا، وكانت تتضمن بيع أملاكٍ أو شرائها مثل (بيت وبستان وحقل وأشخاص).[10]

وفي بعض العقود يلاحظ رهن حقول زراعية، وذلك مقابل قروض أعطيت لأشخاص ما، على أساس الانتفاع بالحقول لمدة من الزمن تقارب ست سنوات؛ ثلاث سنوات لحراثته وثلاث سنوات لزراعته ، وذلك حتى يتم تسديد القروض لها، وهذا يفيد في دعم التبادل التجاري بين أطياف المجتمع وتسخيره لاحتياجاتهم[11]، وأيضًا كانت تعقد الصفقات التجارية بواسطة من يمثل الملوك وينوب عنهم في إدارة أعمالهم وأملاكهم، كما جاء في الوثيقة الآتية: "تعاقدت أبي–رام– أخت أم الملك. وستنتفع بالحقل (كرهن) 3 (سنوات) لحراثته و3 (سنوات) لزراعته بدلًا من 2/1 منو من الفضة (وعند) تثبيت (تقديم) الفضة عند حصاد الذرة فسيخرج من الحقل".[12]

كما جاء في عقود أخرى أن الموظف الآشوري المسؤول عن إدارة القرى التابعة لولي العهد الآشوري يتناول 6 أشخاص مع عقارات (حقل وبستان كروم وبئر) وقد تناول العقد ما يأتي: "تعاقد واشترى سي – مادي، مسؤول القرى، لابن الملك (ولي العهد) عقد ما مجموعه 6 عبيد عائدين ل – بدد Bidadi، وعقار مساحته (...) (وبستان يضم) و600 شجرة كروم (و) بئر في قرية".[13]

10 Reynolds(2003)، pp. 4.7.
11 Ibid، pp. 6.11.
12 Ibid، p.25.
13Reynolds(2003)، p. 26.

أما عن حكام المقاطعات ورجال البلاط فقد كان دورهم الشخصي واضحًا في ممارسة الأنشطة التجارية، والدليل على ذلك ما جاء في عقد بيع يتناول أملاك تابعة لحاكم مدينة ريموسي Rimusi، وقد ذكر في العقد اسم الحاكم الشخصي في تلك الأملاك المباعة، ونص العقد على ما يأتي: "ختم السيد ملكيا ، حاكم مدينة ريموسي، مالك الحقول، البيوت، البساتين، الأشخاص (الذي) باع".[14]

وإلى جانب أفراد العائلة المالكة ورجال البلاط وحكام المقاطعات، نجد الدور البارز الذي لعبه الأفراد العاديين الذين مارسوا الدور الأكبر في تنشيط الأعمال التجارية المتنوعة؛ إذ كشف عن الآلاف من الوثائق الاقتصادية التي وجدت في العواصم الآشورية، وتعكس حجم النشاط التجاري الذي قاموا به في عمليات البيع والرهن والإيجار، التي كانت تحصل بينهم وبين عناصر من قوميات أخرى غير آشورية.[15]

كما تظهر بعض الأدلة النصية على أن حرية ممارسة الأنشطة والأعمال التجارية لم تكن مقتصرة على طبقة الأحرار والملاك فقد مارس العبيد أيضًا دورهم في ممارسة تلك الأنشطة وقاموا بها، كما يبدو ذلك واضحًا من عقد بيع أمة من عبد؛ إذ تناول النص ما يلي: "ختم مكن – آشور، عبد مراقب القصر، مالك الرجل الذي باع".[16]

ويلاحظ من هذه العقود أنه كان بإمكان العبيد في البلاد الآشورية الحصول على الممتلكات وممارسة الأعمال التجارية مهما كان نوعها على حسابهم الخاص، وربما كان ذلك يرجع إلى التأثر بالقوانين البابلية التي أعطت للعبيد فرصة ممارسة أعمالهم التجارية بشكل فردي أو شخصي وممارسة عملية البيع وأعمال أخرى شريطة أن ينفذ ذلك بموجب

14 Ibid، p. 26.27.
15 Ibid، p. 30.
16 Reynolds(2003)، p. 33.

عقد وشهادة الشهود [17]، كما تشير تلك القوانين إلى حصول العبد على الثروة واستقلاله بسكن خاص هو وعائلته، وكانت أملاك العبد بعد وفاته تؤول إلى سيده [18].

وكانت وسائل التعامل اليومي في تلك الأسواق أي ما يتعلق بأسلوب تبادل السلع والبضائع، فقد كان استعمال الحبوب في المراحل الأولى هو الشائع، ولكن تنوع المنتجات جعل من غير الممكن تحديد أسعار تلك السلع ما تطلب إيجاد وسيلة تكون ذات مرونة أكبر من الحبوب للتعامل التجاري، وكانت المعادن أفضل المواد لهذا الغرض، وكان التعامل بتلك المعادن على شكل صفائح أو أقراص أو حلقات تم ختمها للدلالة على نقاوتها[19]، وتأثرت التجارة الداخلية في آشور عبر بعض من المظاهر الاقتصادية الخارجية وذلك لإجراء المعاملات التجارية؛ إذ استعمل الآشوريين نوعًا من الأوزان أطلق عليهر (من كركميش) نسبة إلى مدينة كركميش، وهذا الوزن يعد أحد المعايير الثلاثة لأوزان الفضة إلى جانب (من الملك ومن التاجر)، وهذا ما أشارت إليه العقود الاقتصادية الآشورية ومنها أحد العقود لإجراء معاملة شراء بستان؛ إذ ينص العقد على ما يلي: " اشترى مانوكي– أرابيل البستان من بالطي بثمن 4 منا من الفضة النقية (حسب من) مدينة كركميش".[20]

تجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الأوزان كان الأكثر شيوعا في النصوص الاقتصادية الآشورية مقارنة مع الأوزان الأخرى التي تمت الإشارة إليها.

لعل من الواضح من دراسة الوثائق الاقتصادية المكتشفة في عدد من المدن الآشورية، هو طغيان أعداد القروض بأنواعها وأشكالها وشروطها على بقية أنواع العقود الأخرى ، وهذا يمكن تفسيره باحتمالين: أولهما أن هذه القروض تمثل إحدى الإجراءات الأساسية في بلاد آشور لتسهيل أمور التجارة؛ إذ كانت تقدم لأشخاص للقيام برحلات

[17] سليمان،عامر :**نماذج من الكتابات المسمارية(النصوص القانونية)**، ج1، بغداد، 2002، ص 95.
[18] جاكبسون:**التركيب الاجتماعي للامبراطورية الآشورية الحديثة**، العراق القديم، تر سليم طه التكريتي، بغداد، 1986، ص 447– 448 .
[19] ايمار،اندريه، وجانين ابواية:**تاريخ الحضارات العام**، تر فريد م.داغر وفؤاد ج. أبو ريمان، مج1، بيروت، 2006، ص159.
[20] سعيد، صفوان سامي: **ملكية الأراضي في العصور الآشورية**، الموصل، 2001، ص ص67–68.

تجارية وصفت بمصطلح (صاحب رحلة تجارية) بيل– خزان EN KASKAKL= bel harran، أما الاحتمال الثاني فهو بسبب الأزمات السياسية التي كانت تمر بها البلاد مثل انقطاع الطرق التجارية وعدم حمايتها وانقطاع موارد المملكة الخارجية وقيام الملوك بحملات عديدة لاسترجاعها وتأمينها ، أو كحدوث الكوارث الطبيعية التي كانت تعصف بالبلاد بين الحين والآخر كالجفاف أو هجوم الجراد ما ينعكس ذلك سلبًا على واقع الحياة الزراعية والمزارعين ومربي الحيوانات، ما يضطرهم إلى اللجوء إلى المرابين واقتراض الأموال والحبوب لتيسير أمورهم المعيشية[22]، وذلك مقابل شروط وضمانات تلزم أولئك المقترضين بأراضيهم، التي غالبًا ما يكون تسديدها عند التذرية (موعد الحصاد)، فإن تعذّر عليهم تسديد القروض وفائدتها في الزمان والمكان المحددين، فإن الفائدة ستزداد بنسب أكبر، وهذا يؤدي إلى استغلال المرابين لهم ودفعهم والضغط عليهم إلى تنازلهم عن أراضيهم أو استرقاقهم أو استعبادهم، لذا نجد في كثير من الأحيان أن ضمن الأراضي المباعة أشخاصًا يحتمل أنهم كانوا الملاك السابقين لتلك الأراضي وهؤلاء ربما فقدوا حقوقهم في هذه البساتين بوصفهم ملاكًا بسبب القروض وأخذوا ينتقلون مع العقار المباع من شخص إلى آخر كأقنان مرتبطين بالأرض.[23]

كما كان هناك عقود أخرى تناولت بيع أشخاص يحملون أسماء آشورية الأصل، وربما هؤلاء فقدوا حريتهم بسبب القروض فأصبحوا يباعون ويشترون كالعبيد من شخص إلى آخر، وللحد من هذه الممارسات قام الملوك الآشوريين بالتدخل عن طريق إصدارهم قرارات ومراسيم[24]، تم بموجبها إلغاء بيوعات وقروض مالية حدثت تحت ظروف اقتصادية صعبة تسمى أندررو anduraru وبموجبها يحرر المقترضون من جميع التزاماتهم نحو مقرضيهم وعلى أية حال ما لم يكن المقرض أو المشتري متأكدًا من

[22] يلاحظ من بعض الإشارات الواردة في عقود البيع الأموال المنقولة وغير المنقولة عن وجود أزمات اقتصادية كانت تعصف بالبلاد بين الحين والآخر.
[23] سعيد، (2001)، ص 66.
[24] رشيد، فوزي: **الشرائع العراقية القديمة**، ط3، بغداد، 1987، ص 223.

الحفاظ على حقوقه مسبقًا كان يجب التخلي عن جميع حقوقه ومطالبه ضد البائع أو المقترض في حال صدور الإعفاء، وكان هذا الإعفاء يتوافق مع بداية فترة حكم كل ملك، ما يدل على نيات الملوك السياسية في كسب ود الشعب (ولا سيما الطبقات الكادحة والمناضلة منها) التي تدعمه في منصبه، ولا سيما في ظل الظروف الداخلية الصعبة وسعيهم لتكوين إمبراطورية واسعة الامتداد، إلى جانب السعي وراء تأمين احتياجات الناس.[25]

ثالثاً: نصوص تنظيم القوافل التجارية:

لقد تناولت هذه النصوص والوثائق كيفية إجراء الصفقات التجارية المختلفة ، كما تظهر أن التجار الآشوريين كانوا يعيشون في مراكز خاصة بهم في ضواحي المدن التي ينتقلون إليها للمتاجرة، وكان يطلق على كل مركز اسم كار kar في السومرية وكاروم في الأكدية karum، وهي تعني ميناء أو مركز تجاري، ثم اتسع مدلول الكلمة وأصبحت تعني مكان السوق، لتصبح الكلمة أخيرًا تعني رابطة تجار المدينة [26]، في حين كان يطلق على المحطات التجارية الصغيرة التي قامت بين المدن المصطلح الأكدي أوبارم (ubarum) أو وبارتم (wabartu) التي تعني محطة تجارية، وكانت مهمتها الحفاظ على طرق المواصلات والتجارة في المناطق غير الخاضعة لسيطرة الآشوريين.[27]

وحسب المعلومات المتوافرة فقد بلغ عدد المراكز التجارية الآشورية في بلاد الأناضول أحد عشر مركزًا تجاريًا من نوع كاروم وعشرة مراكز أخرى من نوع وبارتم امتدت من بلاد آشور حتى سهل قونية في الجنوب الغربي من بلاد الأناضول[28]، وكانت المواد التي يتاجر بها التجار بين بلاد آشور وبلاد الأناضول يمكن التعرف عليها من الرقم المسمارية حيث أن الآشوريين كانوا يستوردون من تلك البلاد بعض المعادن

25 Postgate ،J.N ، OP . Cit ،p216 ; Rander ،K، **"The Neo –Assyrian Period " security for Debt in Ancient Near Eastern Law** ، Netherlands ، 1979، pp .248-286 .

[26] فرحان، وليد محمد صالح: **العلاقات السياسية للدولة الآشورية**، رسالة ماجستير، بغداد، 1976، ص 19.

27 Garelli،P:**Marchands et Tamkaru Assyrian en Cappadoce**،vol 1،Iraq، p.39.

[28] الأحمد،سامي سعيد: **المستعمرة الآشورية في آسيا الصغرى**، مجلة سومر، مج33، 1977، ص 76.

المتمثلة بالنحاس والفضة، في حين كانوا يقومون بتصدير المنسوجات ومعدن القصدير بالدرجة الأولى[29] انكم AN.NA= annakum .[30]

فيستنتج أن آشور كانت حلقة الوصل بين المعادن والأخشاب في الشمال ومناطق المنسوجات والمنتوجات الزراعية في الجنوب؛ إذ يكون هناك متعهد لنقل هذه البضائع وإيصالها إلى وجهتها النهائية لقاء أجر معين شريطة الالتزام والتعهد بالمحافظة عليها وتسليمها دون ضرر[31]، وكانت الحمير هي الوساطة التي استخدمت لنقل هذه البضائع، ولا يعرف على وجه التقدير كم كان عدد الحمير التي كانت تستخدم في القافلة الواحدة، ولكن حسبما تشير النصوص المكتشفة من قانش أن أعداد تلك الحيوانات المستخدمة في تسيير التجارة كانت تصل في ركب كبير إلى نحو 200 حمار.[32]

كما لا يعرف على وجه التحديد متى بدأ نشاط أولئك التجار في المنطقة كتاريخ محدد نظرًا؛ لأن أقدم التواريخ الواردة في الرقم المسمارية لا تشير بالضرورة إلى بدايات ذلك النشاط ، فيمكن أن يكون هناك مراكز في كبادوكيا منفية لم ينقب عنها يرجع تاريخها إلى فترة أقدم من مركز قانش، بل يمكن القول إن هناك نشاطات تجارية سابقة أجريت في قانش نفسها، ولم تكن بحاجة إلى تسجيل على رقم طينية وتعود لأجيال سابقة عدة.[33]

في الحقيقة لم تمثل المراكز التجارية الآشورية المكتشفة في كبادوكيا النشاط التجاري الخارجي الوحيد للآشوريين خارج مدينة آشور، فهناك أدلة وشواهد أخرى تشير إلى عائلات آشورية كانت تمارس النشاط التجاري لمناطق امتدت خارج آشور لتشمل منطقة نوزي أو (كركوك) مثلًا؛ إذ عثر في هذه المنطقة على وثائق تجارية تعود لشخصيات

29 Larsen،M.T:**Old Assyrian Caravan Procedures**، Netherlands، 1967، p. 4.

[30] سليمان، عامر وآخرون: **المعجم الأكدي**، ج1، بغداد، 1999، ص 89.

[31] سليمان، عامر: **النظم المالية والاقتصادية**، العراق في موكب الحضارة، ج1، بغداد، 1988، ص 384.

32 Veenhof،K.R:**Aspects of Old Assyrian Trade and its Terminology**، Leiden،1972، p. 1.3.

[33] ساكز، (1999)، ص 52– 55.

آشورية مهمة مثل بوزور آشور وسين رابي، ويظهر أنهم تجار من آشور بدليل ورود إشارة إلى عبارة في المدينة (ان الم ina alim) التي تظهر دائمًا في الوثائق التجارية الآشورية في مراكزهم[34]، ويظهر أن الأشخاص الذين تاجروا معهم أشخاص محليين، كما يرجح أن تاريخ الوثائق هذه تعود إلى بداية سنة حكم الملك الآشوري أرشم الأول Erisum 1939–1900 ق.م أو إلى نهاية حكم والده (ال – شم).[35]

رابعاً: التجارة في العصر الآشوري القديم:

كان الدور التجاري الهام للمنطقة الشمالية فعليا قد بدأ مع تولي شمشي أدد الأول الحكم في المنطقة سنة 1813–1781 ق.م، الذي يعد بحق الملك الآشوري الذي أولى اهتماما كبيرا وملموسا في شأن التجارة الآشورية بتأمين الطرق التجارية، فقد امتد بنفوذه إلى سواحل البحر المتوسط الغنية بمواردها الطبيعية، ويدل على ذلك مسلته التي أقامها في لبنان على سواحل البحر العظيم (البحر المتوسط)، وفي طريقه لذلك شملت سيطرته مدنا وممالك مهمة تقع على تلك الطرق كمدينة ماري (تل الحريري بالقرب من البوكمال شرق سورية)، وقام بتعيين ابنه يسمخ أدد حاكما عليها لأهميتها الاستراتيجية بوقوعها على الطرق التجارية على طول نهر الفرات والتي تعتبر الصلة ما بين الخليج العربي والبحر المتوسط [36]، كما حاول السيطرة على مملكة يمخد مدينة (حلب الأمورية) ذات الأهمية التجارية لأنها تسيطر على الطرق المارة بين الفرات والبحر المتوسط التي ينبغي على القوافل التجارية والتجار اتباعها إذا ما أرادوا السير عبر الطرق الصحراوية المارة بمدينة تدمر والمؤدية إلى مدينة قطنا عند منتصف الطريق بين دمشق وحلب ثم إلى البحر المتوسط بتوطيد العلاقات مع مملكتي قطنا وكركميش (جرابلس على الضفة الغربية لنهر الفرات)، وذلك من أجل حصار يمخد من الجنوب والشمال وكانت مصلحة المملكتين مع شمشي أدد تقتضي حماية نفسيهما من مملكة يمخد وسلامة مصالحهما

[34] تجدر الاشارة إلى أن الأسماء الواردة في البحث حسب اللفظ الأكدي.
[35] الأحمد، (1977)، ص 187.
[36] الأحمد(1977)، ص 83.

التجارية وضمانها، كما تمت السيطرة على مدينة الديرة (بدرة حاليًا) جنوب غرب بغداد، والتي تعد من المحطات التجارية المهمة الواقعة على طرق المواصلات القادمة من بلاد عيلام فضلًا عن أهميتها لخط التجارة الممتد بمحاذاة الضفة الشرقية لنهر دجلة[37]، أما من الناحية الشرقية فتعد شوشرا (تل شمشارة حاليا)[38] من أهم المواقع التجارية التي سيطر عليها شمشي أدد في عهد حاكمها المدعو كور(kuwari) بوصفها مركزًا لتجارة القصدير بين إيران وبلاد آشور كما يوجد فيها مركز لصناعة الأسلحة؛ إذ عثر فيها على قوالب لصب رؤوس الفؤوس. كما أنها تتمتع بموقع عسكري إستراتيجي لصد هجمات القبائل الجبلية [39]، فضلًا عن هذا فقد أولى شمشي أدد عناية كبيرة للداخل في سبيل دعم النشاط التجاري الداخلي لبلاد آشور، فقد تم الكشف عن أعداد هائلة من النصوص والوثائق الاقتصادية الآشورية في الجزء الجنوبي الشرقي من بلاد الأناضول في الإقليم المسمى كبادوكيا[40]، ويقول الملك في أحد نصوصه في ذكرى بنائه معبد الإله "أنليل" في آشور ما يلي: "عندما بنيت معبد سيدي الإله إنليل ، الأسعار في مدينتي ،آشور (كان) بالإمكان شراء 2 كور من الشعير ب 1 شقل من الفضة ،و15 منو من الصوف ب.1 شقل من الفضة ،و2 سوت من الزيت ب. 1 شقل من الفضة ، طبقًا لأسعار مدينتي آشور". وهذه النصوص توضح انتقال كثير من التجار والمسافرين الآشوريين إلى تلك البلاد وإقامتهم للمراكز التجارية الخاصة بهم هناك منها كول تبه (kuz Tepe) كانيش(kanish) وبوغازكوي (حاتوشا) وعلي شار (انكوفا) في موضع العاصمة حاتوشا.[41]

---

[37] ساكز ،هاري:**عظمة بابل**، تر عامر سليمان، الموصل، 1979، ص 80 .

[38] تل شمشارة يقع على الضفة الشرقية لنهر الزاب الصغير وعلى بعد 8 كم جنوب شرق رانية و5 كم غرب المضيق الجبلي المسمى مضيق سنكره الذي يمر فيه الزاب. باقر(1963)، ص 211.

39 Laesson،J:**Pepole of Ancient Assyria**، London، 1963، p.151.

[40] ربما يرجع سبب اختيار إقليم كبادوكيا لإقامة المراكز التجارية الآشورية كونه يقع وسط إقليم قيصرية الخصب في مكان تلتقي وتفترق فيه الطرق التجارية التي تربط الشرق بالغرب عند نهاية الهضبة الأناضولية الوسطى. الأحمد، (1977)، ص 188.

41 Larsen(1967)، p.12.

إلى جانب هذه الاهتمامات فقد برزت آشور خلال هذا العصر بوصفها مركزًا تجاريًا هامًا في المنطقة؛ إذ لعب تجارها دورًا كبيرًا في الحياة التجارية في شمالي سورية وآسيا الصغرى (بلاد الأناضول)؛ إذ شهدت هذه الفترة صلات تجارية وحضارية واسعة النطاق لم تشهد لها مثيلًا من قبل.[42]

خامسًا: التجارة في العصر الآشوري الوسيط:

لقد شهدت بلاد آشور خلال عصرها الوسيط نشاطًا تجاريًا واضحًا على الصعيدين الداخلي والخارجي، انعكس إيجابيًا على النشاط التجاري في غرب آسيا الصغرى وساحل البحر المتوسط، كما أن هذا الانعكاس امتد أيضًا إلى الشرق حيث بلاد عيلام .

فعلى الصعيد الداخلي، إن ما كُشف عنه من الوثائق والنصوص الاقتصادية والتجارية بالذات في مدينة آشور، تظهر النشاط البارز في عمليات بيع الأملاك العقارية وشرائها وفق أسس قانونية متعارف عليها بواسطة الملك، ويظهر ذلك في بعض النصوص التي عثر عليها؛ إذ كانت الصيغة المعروفة والمألوفة في معظم عقود البيع هي كالآتي: "سيحرر (البائع) الحقل من (الادعاءات) ، ويتم قياسه بالقياس الملكي (وأن) يكتب وثيقة قوية (ثابتة) أمام الملك". وتأتي هذه الصيغة أحيانًا في عقود البيع الجماعية كالآتي: "سيحرر (البائعون) الحقل (من الادعاءات) (ويتم) قياسه بالقياس الملكي (وأن) يكتبوا وثيقة قوية (ثابتة) أمام الملك".[43]

فعملية تحرير هذه النصوص دليل يؤكد وجود إجراءات اتبعت في عملية بيع الأراضي، والتي تم الاحتفاظ بها بصورة جزئية في القانون الآشوري[44]، وهذه الإجراءات تنص على وجوب إعلان بيع المالكين لأراضيهم بصورة رسمية أمام الناس وعندما لا يكون هناك اعتراض على البيع يسجل البيع بوثيقة ثابتة تودع في سجلات المملكة الرسمية لأسباب تتعلق بحفظ حق المالك الجديد للأرض أو العقار المباع من أي ادعاء

[42] الأحمد، (1977)، ص 71.
[43] حول هذه النصوص انظر: سليمان، (2002)، ص 266–268 .
[44] حول نص المادة القانونية انظر:
Driver،G.R and Miles،J.C: **The Assyrian Lawes**، Oxford، 1935، p. 428 -431.

قد يؤثر في العقار في المستقبل أو فرض خدمة السخرة (الكو ilku) على ملاك الأراضي، وإلى جانب عملية بيع الأراضي، تظهر مجموعة أخرى من النصوص والوثائق المكتشفة في مدينة آشور تظهر النشاط في إقراض الأموال مقابل رهن الأموال المنقولة وغير المنقولة أو الاثنين مع بعض، فالشروط التي كانت تلزم المقترض بأرضه وبيته وماله وأولاده هي على أنواع، منها:

1- في حالة "إذا لم يرد (المقترض) القصدير بعد ستة أشهر فسيكون (المقرض) مالك حقله ". [45]

2- للمقترض الحق في أن يستعيد العقار المرهون في أي وقت شريطة أن يدفع القرض وفائدته "في اليوم الذي يعيد القصدير (المبلغ) وفائدته سيحرر حقله".[46]

3- ضمان المقترض للقرض بممتلكاته من الأرض أو البيت أو الأولاد أو جميعهم في آن.

واحد "سيدفع (المقترض) حقله وبيته وأولاده وبناته والقصدير إلى حامل لوحه". [47]

يمكن الملاحظة أن المثال الأخير من هذه القروض والعقود هو عبارة عن na –si "tup –pi –su " والتي تعني حامل لوحة، وهي تعني مفهوم الصكوك في وقتنا الحالي، فقد وجد في عدد من هذه القروض والعقود إشارة إلى عبارة (حق) حامل الرقم الطيني وذلك بعد أن يثبت حق المقرض وكمية الأموال الواجب دفعها من قبل المقترض، كما كان المقرض يقوم بحفظ تلك الرقم الطينية إلى أن يحين موعد دفع القرض، كما كان يمكن إعطاء ذلك الرقم إلى غيره أو بيعه إلى شخص آخر، وعلى أساس ذلك يكون الشخص المشتري قد امتلك الرقيم وما ورد فيه من حقوق، وهذا عرف في الوثائق باسم

45 Roth،(1997)، p177- 178.
46 Ibid.، p. 179.
47 Ibid.، pp. 180- 181.

(حامل الرقيم)، ويصبح المقترض بموجب ذلك النقل ملزمًا بدفع ما ورد في الرقيم من التزامات بحكم القانون .[48]

أما خارجيًا، فيمكن أن نستنتج من النصوص المسمارية وجود نشاط تجاري خارجي سواء أكان على مستوى المملكة أم على المستوى الشخصي، مثل الوثائق الاقتصادية المكتشفة في تل الرماح الواقع على بعد 13 كم غرب تلعفر، التي ترجع بتاريخها إلى عهد الملك الآشوري أدد نيراري الأول 1307–1275 ق.م وتظهر نشاطًا تجاريًا آشوريًا في عملية إقراض الحبوب (الشعير) والقصدير مع بلاد نائيري الواقعة جنوب غرب بحيرة وان[49]، وأيضًا يمكن أن يستدل من النصوص على سعة حجم التجارة والتبادل التجاري التي كانت تقيمها بلاد آشور مع المدن والممالك السورية في عهد الملك شلمان – أشريد الأول (شلمنصر الأول) 1274–1254 ق.م، وذلك بواسطة معاهدة اشترط بموجبها الملك الحثي تودخليا على تابعه الآرامي شوشكا مواش ملك دويلة أمورو Amurru في سورية مقاطعة بلاد آشور تجاريًا؛ إذ يأمره بما يأتي: "ألا يذهب تاجر من عندك إلى بلاد آشور – ولن نسمح لتاجر منهم أن يدخل بلادك وأن يمر بها . وإذا أتى واحد إلى بلادك اقبض عليه وأرسله إلى الملك الحثي".[50]

كما يمكن التوصل من جانب آخر إلى أن رسالتي الملك الآشوري آشور أوباليط الأول 1365–1330 ق.م إلى فرعون مصر أخناتون تظهران نيات الملك الآشوري والرغبة غير المعلنة لديه في تنشيط حركة التبادل التجاري هذا، فضلًا عن تعزيز العلاقات الدبلوماسية والودية بينهما فيقول في الرسالة الأولى:

"إلى ملك مصر قل: هكذا يقول آشور أوبالط، ملك بلاد آشور، عسى أن تكون بخير أنت وبيتك وأرضك وعرباتك وقطعاتك، لقد أرسلت مبعوثي إليك ليراك ويرى بلادك ولقد

---

[48] حمود، حسين ظاهر : **ابتكار النقود في العصر البابلي القديم والتعامل التجاري بالصكوك وتأثيره على البلدان المجاورة**، بحث ألقي في الندوة العالمية لمهرجان بابل الدولي، بغداد، 2000، ص 5– 6.

[49] Sagges, H.W.F:**The Tell Al Rimah Tablets** 1868، Iraq، vol 30، pp. 154. 174.

[50] ساكز (1999)، ص 79.

بدأت الاتصال بك اليوم حيث لم يسبق لآبائي السابقين أن اتصلوا بك. ولقد أرسلت لك عربة جميلة وزوجين من الخيول وجوهرة من اللازورد الحقيقي لا تعطل مبعوثي الذي أرسلته إليك، فإنه سيراك ثم يتعرف على بلادك".

أما في الرسالة الثانية، فإنه يشير إلى مبعوثين مصريين استقبلا في البلاط الآشوري؛ إذ جاء فيها ما يأتي: "إلى أخي قل هكذا يقول آشور أوبالط ملك بلاد آشور الملك العظيم، أخي عسى أن تكون بخير أنت وعائلتك وبلادك. عندما رأيت مبعوثيك كنت فرحًا جدًا، مبعوثيك استضيفوا بكل شرف في بلاطي".[51]

فيمكن أن يلاحظ من هاتين الرسالتين الرغبة المتزايدة لدى الآشوريين في تعزيز علاقاتهم مع الدول التي تجاورهم من أجل تنشيط حركة التجارة والحفاظ عليها في سبيل تغطية وتأمين متطلبات الحياة لديهم وتوفير احتياجاتهم منها، لكن بعد تلك الفترة دخلت البلاد الآشورية حالة من الركود والجمود وتعرضت للفوضى حتى دخلت عصرها الحديث واستعادة قدراتها ونشطت حركتها التجارية من جديد.

سادسًا: التجارة في العصر الآشوري الحديث:

في الواقع لم تكن العناية والاهتمام بأمور التجارة وتأمين طرقها خلال هذا العصر أقل شأنًا في السياسة الخارجية والداخلية للملوك الآشوريين، بل على العكس كانت عاملًا أساسيًا وركنًا هامًا في بناء المملكة المترامية الأطراف التي سعى ملوكها إلى بنائها بإرسال العديد من الحملات العسكرية في سبيل تثبيت أركانها وحمايتها من الأخطار الخارجية أولًا، وتأمين سلامة الطرق التجارية المؤدية إلى مواطن المواد الأولية والمصنعة، التي أصبح الطلب عليها ضروريًا، ولابد من تأمينها وتوفيرها تلبية للتطورات التي أصبحت تشهدها المنطقة منذ بداية عصرها هذا.[52]

[51] ساكز (1999)، ص 69–70.
[52] ديلابورت، ول: **بلاد ما بين النهرين حضارة بابل وآشور**، تر محرم كمال،ص257.

فعلى الصعيد الخارجي نجد أن للحروب والحملات التي كان الملوك الآشوريين يرسلونها، كالحملات العسكرية التي خاضها الملك آشور ناصر أبل Assur-nasir-apli (آشور ناصر بال الثاني) 883– 859 ق.م، في الجهات الشمالية الغربية التي كانت ضد الدويلات الآرامية، وكان من أبرزها مملكة بيت أديني[53]، كان لها أهداف اقتصادية بالدرجة الأولى إلى جانب الأهداف العسكرية المتمثلة في القضاء على خطر هذه الدويلات وتأمين الطريق المؤدية إلى بلاد الشام وساحل البحر المتوسط والغرب وسلامتها وحمايتها من خطر هؤلاء، بالإضافة إلى ضمها وجعلها تحت السيطرة الآشورية لما تمثله من مصدر قلق كبير لبلاد بابل التي رأت في السيطرة الآشورية على الدويلات الآرامية في سورية، والتي تقع على الفرات والخابور تهديدًا خطيرًا لمصالحها التجارية مع المدن التي تقع على ساحل البحر المتوسط، مما دفع بالملك البابلي نابو أبلو أدينا 887–855 ق.م ، إلى التحالف مع حاكم سوخي الذي رفض دفع الإتاوة والضرائب للملك الآشوري وقيامه بمواجهة جيشهم العظيم[54] ، ولكن مع ذلك، فإن هذا الحلف لم يستطع الصمود أمام قوة الجيش الآشوري، كما ادعى آشور ناصر أبل في كتاباته، وكما يرى أحد الباحثين أن دوافع الهجوم الآشوري المفاجئ لبلاد بابل من قبل ابنه شلمان –أشريد Sulmanu–assared (شلمنصر الثالث) 858–824 ق.م ، وحفيده شمشي أدد الخامس 823–811 ق.م كان لأسباب اقتصادية؛ إذ ليس هناك ما يشير إلى أن بلاد بابل كانت تمثل خطرًا على بلاد آشور أو حتى تمثل تهديدًا مباشرًا للطرق التجارية آنذاك، بل إن من دوافع هذا الهجوم تأمين تلك الطرق وحمايتها حيث كانت القبائل الكلدانية مسيطرة على الجنوب من بلاد بابل في عهد هذين الملكين الآشوريين، واستنادًا لقوائم الملوك الآشوريين فقد وجه شمشي أدد الخامس حملاته ضد تلك المنطقة بالذات لما تتمتع به من أهمية خاصة في تجارتها مع الهند والجزيرة العربية التي تأتي عبر الطريق المار شمالًا حيث عمان وديلمون (البحرين)، ولكن في فترات لاحقة أدت

[53] Sagges(1868)،p182.
[54] ساكز(1999)، ص73.

التحركات العرقية في شمال إيران إلى تغيير تلك الطرق؛ إذ أصبحت تمر من جنوب إيران (عيلام) وبابل، فمن المتوقع أن الملك شمشي أدد الخامس حاول بسط سيطرته على الطرق التجارية بين الموانئ الجنوبية عبر بلاد بابل على طول نهر دجلة[55]، كما كانت دوافع تنظيم حركات المناوئة والمناهضة من مصر ضد النفوذ الآشوري من جنوبي سورية وفلسطين منذ عهد الملك الآشوري توكلتي أبل إيشر Tukulti –apil –Esarra (تجلات بليصير الثالث) 744–727 ق.م حتى عهد السلالة الشروكينية لأسباب اقتصادية بالدرجة الأولى، فقد شكلت الحملات العسكرية التي تولى قيادتها "توكلتي أبل إيشر" الثالث على الجبهة الغربية بهدف السيطرة على الساحل الفلسطيني الممتد جنوبًا حتى المنطقة التي تعرف الآن بقطاع غزة، ويتمثل هذا الهدف بسيطرة الآشوريين على الطرق التجارية والتحكم بالتجارة المصرية بوضع القيود وفرض الضرائب على تصدير الخشب إلى مصر من لبنان، وذلك تهديدًا لمصالح مصر الخارجية ، كما يظهر ذلك من رسالة (قردي– آشور– لامر Qurdi-Assur-lamur) ، وهو الموظف الآشوري المسؤول عن الموانئ البحرية في صيدا وصور إلى الملك الآشوري توكلتي – أبل – إيشر الثالث وهذه الرسالة نصت على ما يأتي: "إلى سيدي الملك عبدك قردي – آشور– لامر بخصوص (حاكم) مدينة صور الذي قال لي الملك بأن علي التحدث إليه برفق – كل الأرصفة (مفتوحة) له، وأتباعه يدخلون الأرصفة ويخرجون كما يرغبون ويبيعون ويشترون. جبل لبنان تحت تصرفهم ينزلوا ويصعدوا حسب رغبتهم وينزلون الأخشاب، فرضت ضريبة على كل واحد ينزل خشبًا وعينت جباة الضرائب على كل أرصفة جبل لبنان ويتولوا الحراسة وعينت جابي الضرائب على كل أولئك الذين ينزلون إلى الأرصفة التي في صيدا إلا أن الصيديين اختطفوه وعليه أرسلت اتوء itu u [56] إلى جبل لبنان

[55] حمود(2000)، ص 34.

[56] اتوء هي إحدى القبائل الآرامية التي اتصفت بإمكانياتها القتالية الخاصة والتي استخدمت من الملوك الآشوريين كقوات احتياطية ضمن الجيش الآشوري. أحمد، علي ياسين: **القبائل العربية في بلاد بابل خلال الألف الأول قبل الميلاد ، وقائع ندوة الوطن العربي عبر التاريخ**، بغداد،2000، ص 32.

وجعلوا الناس يرتعبون، بعد ذلك أرسلوا إلي وجلبوا (ارجعوا) جابي الضرائب إلى صيدا .وأصدرت أمرا لهم أنه بإمكانهم أن ينزلوا الخشب ومزاولة أعمالهم إلا أنه لا يمكنهم بيعها إلى المصريين أو إلى الفلسطينيين "[57].

وأيضا هناك الحملات العسكرية التي قادها ملوك السلالة الشروكينية، كالملك شروكين sarru-ken (سرجون الثاني) 721–705 ق.م، والملك سين –اخى – ريب sin –ahhe –riba (سنحاريب) 704–681 ق.م، وآشور – اخ – ادين – Assur – ahu iddin (اسرحدون) 680 –669 ق.م، وآشور – بان – ايل Assur- bani –apli (اشور بانيبال) 668 –627 ق.م، ضد البلدان والأقاليم المجاورة لبلاد آشور فهي فضلًا عن أنها أهداف عسكرية تحاول القضاء على أي قوة أو جهة من شأنها زعزعة أمن البلاد الآشورية كانت لها أهداف اقتصادية؛ إذ سعى ملوكها إلى تحقيقها؛ فحملاتهم على صعيد الجبهة الشمالية ضد مملكة أورارتو (المتمركزة حول بحيرة وان) كانت بهدف السيطرة على الطرق التجارية عن طريق قوي Qui (كيليكيا) والأناضول، ولا سيما أن الصراع بين المملكتين الآشورية والاورارتية قد تمركز حول المناطق الغنية بالمواد الطبيعية في شمالي سورية وجنوب كيليكيا والمناطق الواقعة جنوب شرق بحيرة أورميا ، ولا سيما أن سورية ذات أهمية تجارية كبيرة بالنسبة لآشور ؛ لأنها محطة تجارية نهائية لطرق عدة بين كلا الأطراف، فسيطرتهم على كيليكيا تتمثل في الحصول على مصدر الحديد وفتح الطريق المؤدية إلى المراكز اليونانية في آسيا الصغرى[58]، ولعل حملات الملك سنحاريب العسكرية على الجبهة الشمالية ضد كروا kirue حاكم مدينة البرو IlIbr لها الهدف نفسه، كما جاء في نصوص هذا الملك؛ إذ يقول: " كروا محافظ مدينة البر العبد التابعي الذي سخطت عليه آلهته، بسبب إثارة رجال مدينة خلك Hilakku (كيليكيا) وجعلهم مستعدين للحرب. الناس الذين يسكنون مدينة إمكرا imgira وبلاد ترز Tarzi، أتوا لمساعدته وسيطروا على طريق قوي وأغلقوا طرق المواصلات". أما عن

[57] Roth(1997)، p. 181.

[58] ساكز (1999)، ص 115.

حملات الملوك الآشوريين على الجهة الغربية، والتي كانت ضد القبائل الآرامية ، فكانت تكمن تحت هدف السيطرة على الطرق التجارية المؤدية إلى المدن الساحلية الغنية بمواردها المعدنية والخشبية، ولعل الخطر الذي يمثله انتشار الآراميين في أصقاع واسعة من الشرق الأدنى القديم وسيطرتهم على طرق التجارة وتحكمهم بالقوافل المارة عبر أراضيهم دليل واضح على ما جاء في الرسالة التي بعثها حاتوشيلي الثالث ملك الحثيين إلى ملك بابل كدشمان إنليل الثالث نحو سنة 1275 ق.م إذ جاء فيها ما يأتي: "إن الأخلامو قد جعلوا الطرق بين المملكتين حافلة بالأخطار والمصاعب".[59]

من ذلك يلاحظ أن جهود الآشوريين ومساعيهم في حملاتهم على مختلف الجهات لم تقتصر فقط على دعم التجار والتجارة بتأمين طرقها وحمايتها من الأخطار الخارجية، بل كانوا يهدفون إلى تنشيط التبادل التجاري وتعزيزه عن طريق إقامة العلاقات السلمية التي تتناول تبادل الهدايا والعلاقات الزوجية وغيرها، ويمكن التوصل من كتابات الملك شروكين الثاني (الآشوري) إلى تأكيد ذلك بواسطة دوره وجهوده الواضحة في تنشيط التجارة وفتحها بين الآشوريين وسكان مصر، فيقول في أحد نصوصه: "فتحت ميناء بلاد مصر المغلق وأدمجت سكان بلاد آشور مع سكان مصر وجعلتهم يشتغلون سوية بالتجارة".[60]

ولعل في هذه النصوص ما يثبت واقع الحياة التجارية وتنشيطها يوميًا في البلاد الآشورية. وفي أحد النصوص التي تتعلق بقضايا المحاكم بشأن تجار مصريين قاموا بزيارة آشور، فقام عدد من الرجال الآشوريين المجرمين بمهاجمتهم، فدخلوا بيت خكبي Hakubaya كضيوف أجانب. ويأتي في النصوص ما يأتي: "دخلوا تجار مصريين بيت كضيوف أجانب شمش – رش – اش Samas –resi –issi الكاهن (و) أي – ناصر Aya – nasir (و) مرنري Marnuri (و) ال – سق saqa – il (و) نبوت Nabute .

[59] سومو، دوبونت:**الآراميون** ، تر الأب البير ابونا، سومر، مج 19، 1963، ص 68.
[60] Roth(1997)، pp 184.188.

المجموع خمسة مجرمين الذين هاجموا التجار المصريين في بيت خكبي"[61]. فالملاحظ من هذا النص أن استعمال عبارة كضيوف أجانب a-na u–ba –ra –tu في وصف التجار المصريين في بلاد آشور، تشير في محتواها إلى العلاقات التجارية الواسعة بين البلدين سواء على المستوى الشخصي كأشخاص تجار (قطاع خاص) أو على مستوى التجارة الدولية (كقطاع دولة عام).[62]

سابعاً: التجارة الخارجية وأنواعها في بلاد آشور:

تعد التجارة عبر تاريخها الطويل إحدى الركائز الأساسية المساهمة مساهمة فعالة فعالة في نمو اقتصاد وتطوره؛ أي مجتمع من المجتمعات ،كونها تعد الواسطة التي تدفع الإنسان إلى تأمين حياته اليومية من السلع والحاجات المختلفة، فضلا عن كونها تمثل القناة التي يصرف الإنسان عبرها فائض حاجاته التي أنتجها من البضائع والمواد المختلفة لذا فأن التجارة تعد مرآة تعكس بوضوح واقع الحياة المعاشية والنظم الاقتصادية التي عاشتها المجتمعات.[63]

وهناك عدة عوامل جعلت الآشوريين تجارا ناجحين، كما دفعتهم إلى الاهتمام بالتجارة الخارجية لبلادهم من أجل تدعيم نشاطهم الاقتصادي كون بلاد آشور بلدا زراعيا ،ولهذا السبب عدت التجارة العامل الثاني بعد الحروب بإسهامها في ازدهار الآشوريين اقتصاديا بشكليها الخارجي والداخلي[64]، فكانت التجارة والحروب عامة أمرين مرتبطين ببعضهما في بلاد آشور منذ أقدم العصور، ويبدو أن وضعها كان يختلف من عصر لآخر تبعًا لاختلاف الظروف السياسية والعسكرية للمنطقة ، وكان الآشوريون قد نجحوا في إقامة مراكز ومنشآت تجارية خارجية لهم عن طريق حروبهم وكان أهمها في بلاد الأناضول

[61] ساكز، (1999)، ص 71– 105.
[62] سومو(1963)، ص ص74–78.
[63] سعيد، صفوان سامي: **التجارة في بلاد آشور خلال الألف الأول قبل الميلاد في ضوء النصوص المسمارية**، أطروحة دكتوراة، الموصل، 2006، ص 10.
[64] ساكز، (1999)، ص 247.

تعرف بالكاروم وتعد حاليا بمثابة غرف تجارية أشهرها كانيش[65]، ونتج عن تلك المراكز والغرف التي أنشأت هناك أن تدفقت الثروة والأموال على بلاد آشور عن طريقها، الأمر الذي جعلها أكثر قوة سياسيًا، ما مكنها من استثمار الدعم الاقتصادي لخدمة القطاع العسكري وقوتها الحربية، وهذا ما دفع بملوكها نحو السيطرة على الطرق التجارية المهمة كسيطرتهم على منطقة الديرة؛ لأنّها تعد إحدى الطرق التجارية المهمة عبر إيران[66]، فضلًا عن سيطرتهم على بعض المدن المهمة مثل أور، وتحكمهم بالتجارة والطرق[67]، فنجح الآشوريون في تحقيقهم ازدهارًا اقتصاديًا عبر إقامتهم لتجارة تبادلية ناجحة مع الأقاليم المجاورة لهم، ورافق ذلك حركة تأمين احتياجاتهم من المواد الخام التي كانت البلاد تفتقر إليها على وفق عمليات استيراد منظمة[68].

وكان أهم ما استورده الآشوريون هو معدن القصدير الذي كانوا يجلبونه من جبال قره داغ قرب تبريز في إيران ومن أواسط آسيا عند وادي فرغانه ومنطقة شمشارة الواقعة في شمال شرقي المملكة الآشورية، إلى جانب حصولهم على هذا المعدن من التجار الفينيقيين الذين كانوا يحصلون عليه في الغالب من صقلية وكورنوال في إنكلترا حاليًا، والتي عرفت بجزر القصدير[69]، أيضا حصل الآشوريون على النحاس من قبرص وعمان عبر التواصل التجاري مع الأجزاء الجنوبية من بلاد الرافدين، كما كان الحديد من المعادن المهمة التي استوردها الآشوريين من المناطق الشمالية القريبة من آشور ومنها منطقة موماعنيت، وكما جلبوه من حران أيضًا ، وكان استحصال هذا المعدن يتم عن طريق الأتاوات والضرائب التي تدفعها هذه المدن، أما الفضة فقد استوردها الآشوريون من كيليكيا في آواسط آسيا الصغرى حيث مناجم بلفار الغنية بالفضة ومنطقة كسرى،

[65] كانيش: هي إحدى المواقع الأثرية وتسمى حاليا كول تبه وتقع بالقرب من قيصرية (عند قرية قره هيوك) في الأناضول. الأحمد(1977)، ص 70–71.
[66] ساكز(1979)، ص 86.
[67] تعد مدينة أور من المدن المهمة كونها تحتوي على ميناء تجاري هام.
الفتيان، أحمد مالك: **نظام الحكم في العصر الآشوري الحديث**، اطروحة دكتوراة، بغداد، 1991، ص 122.
[68] كانجيك،(2008)، ص 50.
[69] الأحمد(1991)، ص 193.

وأما الرصاص فكانوا يجلبونه من سورية ومن الجبال الغربية للمملكة الآشورية[70]، واللازورد كانوا يحصلون عليه من القبائل الميدية الذين كانوا بدوًا رحل يتجولون في معظم أنحاء المنطقة الشمالية، وكان لمعرفتهم بالطرق البرية أثره البارز الذي ساعدهم في جلب بضائع للمملكة الآشورية، ولا سيما اللازورد من أفغانستان [71]حيث مناجم بدخشان الموجودة في شرق أفغانستان[72] ، والتي تعد المصدر الرئيسي لإنتاج هذه الأحجار، كما استورد الآشوريون من ديلمون أحجار اللازورد والعقيق والعاج الذي يجلب من الهند والأصداف واللؤلؤ المعروف بالمصادر المسمارية بعيون السمك[73] وهذا كله يدل على مدى حاجة آشور لتلك المعادن وتحصيلها بشتى الطرق لافتقارها لها، وكان التحصيل في معظم الأحيان عن طريق الحملات العسكرية التي يقوم بها الملوك.

أما الأخشاب، فقد كانت المناطق الغربية والشمالية والشمالية الغربية للمملكة الآشورية من المناطق المهمة والحيوية بإنتاج الأخشاب ولا سيما في منطقة جبال لبنان وجبال الأمانوس؛ إذ تميزت بأنها ذات نوعية جيدة، أما الخيول، فكانت كبادوكيا والسهول التيسية في الشمال والشمال الشرقي من المملكة هي المصدر الرئيس. كما اشتهرت المملكة الآشورية بأنواع من الخيول أهمها: الكوسية والماسية ما يدل على تنوع مصادرها للمملكة، واستخدامها في الحروب[74].

أما فيما يتعلق بتجارة المواد الزراعية فقد تميزت تجارتها بالتنوع، وكان التفاح من بين المواد التي فرض الملوك الآشوريون أتاوتها على بعض المناطق المنتجة له؛ إذ كانت

---

[70] الأحمد(1991)، ص 193–194.

[71] طه، منير يوسف: **علاقات الآشوريين مع الأقاليم المجاورة**،موسوعة الموصل الحضارية، مج1، الموصل، 1991، ص 118.

[72] يوجد هناك طريقان لوصول اللازورد إلى بلاد الرافدين من مراكزه الأصلية في بدخشان بأفغانستان ومن جبال بامير في طاجكستان ومن مرتفعات تلال جاكاي في باكستان وهذا الطريقان هما برا عن طريق جبال زاغروس وبحرا عن طريق الخليج العربي وفي الطرق البرية يوجد هناك طريقان للوصول إلى مناجم اللازورد عبر الحدود الشمالية التي سيطر عليها الميتانيون أولا ومن ثم الآشوريون، والطريق الجنوبي الذي سيطر عليه العيلاميون. محمد، رعد سالم: **الأحجار والمعادن في بلاد الرافدين**، رسالة ماجستير، الموصل، 2005، ص51.

73 Georgina،H:**The Early Phases of its Trad**، vol 30، NO 1،London،1981، p. 21.

74 Postgate، (1979)، p. 12.

أتاوة بلاد لاقي في الفرات الأوسط ومدينة نمد–عشتار[75]دفع عدد من فسائل التفاح إلى المملكة؛ لأنها تشتهر بزراعتها[76]، ومن الفواكه المستوردة أيضًا ما دلت عليه إحدى المنحوتات الجدارية التي صورت ما كان يقدم على الموائد الملكية، ويبدو أنه على شكل يتألف من أقسام عدة تشبه الأصابع المرتبطة بقاعدة، وهذا ما يشير إلى فاكهة الموز الذي ينمو على نطاق واسع في سورية، ويعتقد أنه يستورد من هناك[77].

وكانت هناك محاصيل زراعية عدة عمل الآشوريون على جلبها وزراعتها داخل بلاهم للاستفادة منها بشكل أكبر، وكان منها نبات السمسم الذي عرف بالسومرية (SE-GIS.13)، ومعناها حب شجرة الزيت ؛ إذ كانت زراعة السمسم شائعة في بلاد الرافدين ولا سيما في بابل، وعمل الآشوريون على إحضارها وزراعتها، فقد كانت تنمو نموا مفرطا إلى جانب القمح والشعير[78]، لذا كانت زراعة السمسم من المزروعات المهمة في المملكة، بعد أن أدرك الملوك الآشوريون أهميتها لما لها من فائدة في تهدئة أعصاب الإنسان، ولهذا كانت أسعاره مرتفعة مقارنة بالزيوت الأخرى، وذلك لندرته في بلاد آشور[79].

كما أدخل الرز بوصفه محصولًا غذائيًا إلى بلاد آشور في الألف الأول قبل الميلاد، ومن المعروف أن الرز أصله في الصين؛ إذ ترجع أقدم إشارة تاريخية لزراعته في الصين إلى عهد الإمبراطور "جين ننغ" عند منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، كما ذكر الرز بنموه في بلاد الهند على هيئة نبات وحشي[80]، ويعد نبات الرز من المواد الغذائية

[75] نمد–عشتار: مدينة تبعد حوالي 60كم شمال غرب الموصل تعرف حاليا بموقع تلعفر. حنون،نائل: **مدن قديمة ومواقع أثرية**، دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي خلال العصور الآشورية، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق، ص100.

[76] سعيد، (2006)، ص 115–116.

[77] كونتينو،جورج: **الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور**، تر سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، بغداد، ط2، 1986. ص 143.

[78] باقر، طه: **دراسة النباتات المذكورة في المصادر المسمارية**، مجلة سومر، مج9، 1953، ص 25.

[79] يعتقد أن أسعار السمسم كانت مرتفعة في بلاد آشور بسبب استيراده من الجنوب واستخدامه لصنع الزيت نظرا لقلة أشجار الزيتون. باقر(1953)، ص26.

[80] باقر(1953)، ص27.

الغنية بالكاربوهيدرات مولدة للطاقة[81]، وهذا الأمر الذي دفع بالآشوريين للحصول عليه من النباتات المهمة المستوردة، وأيضًا هناك أشجار القطن التي أطلق عليها الشجرة التي تحمل الصوف[82]، وكان للعلاقات التجارية المتينة الأثر الأكبر في إحضار هذه النبتة، وقد اختلف الباحثون في مصدرها؛ إذ يعتقد أن معرفة الآشوريين لزراعة القطن كانت من السودان عن طريق مصر[83]؛ إذ كانت زراعته الأولى في السودان، وكان على شكل نبات وحشي ثم انتقل إليها، في حين ثمة اعتقاد آخر بأن الآشوريين قد جلبوا شجرة القطن من الهند عبر جزيرة ديلمون، وهذا الرأي هو الأرجح لأن العلاقات الآشورية المصرية لم تكن في العصر الحديث جيدة، أما ديلمون فقد كانت تحت السيادة الآشورية في ذلك الوقت.[84]

من المواد المهمة أيضًا التي سعى الآشوريون للحصول عليها هي مادة الشب، التي عرف لها استعمالات كثيرة، وتنوعت مصادر الحصول عليها فكانت المنطقة الشمالية من بلاد آشور والمتمثلة ببلاد الحثيين من المناطق المهمة التي استورد منها الآشوريون هذه المادة واشتهروا بها على نطاق واسع[85]، ويشير إلى ذلك أحد النصوص: "يؤخذ الجلد ويغطس لفترة من الزمن في مزيج من الطحين النقي والنبيذ والماء ثم يخرج ويمسح بدهن الثور الجيد، وبالشب المستورد من بلاد الحثيين"[86]، عرف الآشوريون استيراد هذه المادة أيضًا من منطقة كشابا[87]، كما تعد بلاد النيل من المناطق المهمة في إنتاج الشب، وحرص الآشوريون على استيرادها منهم أيضًا واستعملوها في تثبيت الألوان على خيوط الغزل والنسيج[88]، وقد ازداد حصول الآشوريين على مادة الشب بعد حملات الملك

[81] الدباغ، تقي:**الزراعة والتحضر (العراق في موكب الحضارة)**،ج1، بغداد، 1988، ص 52.
[82] ساكز، (1999)، ص 283.
[83] الجادر، وليد:**الصناعة موسوعة الموصل الحضارية**،مج1، الموصل، 1991، ص 212.
[84] أوبنهايم، ليو:**بلاد ما بين النهرين**، تر سعدي فيضي عبد الرزاق، ط2، بغداد، 1986، ص 116.
[85] الجادر، وليد: **صناعة الجلود في بلاد الرافدين**، مجلة سومر، مج 27،ج1–2، 1971، ص 309.
[86] حبة، فرج: **الكيمياء وتكنولوجيتها في العراق القديم**، مجلة سومر، مج25، ج1–2، 1969، ص 100.
[87] وهي المنطقة التي تقع ضمن حدود إقليم توبال جنوبي آسيا الصغرى.Parpola ، S:**New Assyrian Treaties from the Royal Archives of Ninevehin**، Newhaven، vol 39، 1986، p. 161.
[88] الأحمد(1991)، ص 194.

آشور –أخ–أدينا على مصر؛ إذ أشار بكتاباته إلى كثرة الشب عند تقدمه نحو الدلتا،: "تقدمت بمسافة أربع ساعات مضاعفة وفي أرضية مغطاة بحجر الشب...."[89].

كذلك استورد الآشوريون من مصر مادة النطرون التي تكثر في وادي النطرون الواقع إلى الغرب من القاهرة، ويعد النطرون من المواد المثبتة للألوان[90]، كما استورد الآشوريون مادة العفص الغنية بمادة التنيين الدابغة من بلاد الحثيين، والتي استعملت في دباغة الجلود، وهذا ما أشار إليه أحد النصوص: "يغطس جلد الصخلة الشابة بمزيج من الحليب الأصفر والطحين ويزيت بالدهن العادي أو بشحم البقرة الغني، ثم ينقع بمحلول من الشب في عصر العنب، ويغطى بثمر العفص المستورد من الحثيين"[91].

أيضا استورد الآشوريون أصباغ الأرجوان[92] من فلسطين للحصول على اللون القرمزي المستعمل في صباغة المنسوجات والأصواف[93]، واستوردوا البخور من بلاد العرب[94]، وكان العاج[95]من المواد النادرة التي سعى الملوك الآشوريون للحصول عليها بطرق مختلفة منها عبر الإتاوات والغنائم عبر حملاتهم وكان الحصول على العاج مواد خام أو مواد مصنعة هذا ما أشير إليه في حوليات الملوك الآشوريين، وكان يتم الحصول على الأثاث المطعم بالعاج من المقاطعات الشمالية في سورية منها كركميش ومدن الساحل، وكان لحملات الصيد التي يقوم بها الملوك دورا في الحصول على هذه المادة حيث كانوا يفتخرون بصيدهم أعدادا كبيرة من الفيلة أو جلبها حية، وهذا ما يعزى

[89] الجادر، وليد: **الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر**، بغداد، 1972، ص 164.
[90] الجادر(1972)، ص 18.
[91] حبة(1969)، ص 100.
[92] تستخرج هذه الصبغة من صدف المورکس على شكل سائل أرجواني وتنتشر هذه الأصداف على جميع سواحل البحر المتوسط.
حتي، فيليب: **تاريخ لبنان وسورية وفلسطين**، تر جورج حداد وعبد المنعم رافق، ج1، بيروت، 1958، ص 102.
[93] الراوي، فاروق ناصر: **العراق في موكب الحضارة الأصالة والتأثير**،ج1، بغداد، 1988، ص 307.
[94] ساكز(1979)، ص 310.
[95] العاج: يمثل أحد المواد النفيسة والصلبة والتي تمتاز بقدرتها على تحمل العوامل الطبيعية فضلا عن تماسك ذراتها وسهولة الحصول على سطوح مصقولة فيها وكان الحصول على العاج من حيوان الفيل ،كما أخذت من حيوان الماموث قبل انقراضه ومن أنياب فيل البحر. عبد الخالق، فريال داوود:**الزخرفة بالعاج حذورها في عصور ما قبل الإسلام وازدهارها في العصور الإسلامية**، مجلة آفاق عربية، ع3، 1988، ص 59.

إلى سبب وجود العاج بكميات كبيرة في بلاد آشور، فكانت مدن آسيا الصغرى ومدن بلاد الشام تعد من المدن الغنية بقطعان الفيلة التي تجوب بين وسط نهر الفرات وشماله، وقرب نهر الخابور وتحديدًا بالقرب من منطقة عانة(خانة)[96]، وهذا ما دفع بالملوك الآشوريين لاستيراده من تلك المناطق، بالإضافة إلى أنهم استوردوه أيضًا من بلاد النيل؛ إذ كانت هي الأخرى غنية بالفيلة، ومن الهند في منطقة وادي السند الغنية بالعاج الذي كانت تصدره إلى منطقة الشرق القديم عبر ديلمون، ومن ثم ينقل عبر روافد نهر دجلة[97]، ودل على ذلك العاجيات التي عثر عليها في مدينة كلخ(نمرود) على اختلاف أساليب نحتها وطرازها ومواضيعها[98]، وكانت تجارته مربحة جدًا، ولهذا الأمر اهتم الآشوريين بالحصول عليه من مناطق عدة.

النتائج:

من دراسة بحث العلاقات التجارية ما بين بلاد آشور، وبقية المناطق المجاورة لها، يمكن الوقوف على بعض الاستنتاجات التي توصلت إليها هذه الدراسة ويمكن إجمالها فيما يأتي:

1- إن الحروب الخارجية للمملكة الآشورية تركت أثرًا واضحًا على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، ويمكن القول: إن مجمل هذه التأثيرات كانت إيجابية في دعمها للنشاط التجاري والمعيشي على سكان المملكة.

2- إسهام العوامل الجغرافية والطبيعية بما في ذلك المناخ وزراعة المحاصيل والمميزات التجارية في رسم الملامح السياسية والاقتصادية للمملكة الآشورية.

96 Elat،M:**The Economis Relations of the New-Assyrian Empire with Egypt (jaos)**،vol 98، USA،1978، p. 23.24.

97 يانكوفسكا: **العراق القديم**، بغداد، 1976، ص 400– 401.

98 لقد كشفت أعمال التنقيب عن وجود كميات كبيرة من العاجيات في مدينة كلخ (نمرود)، والتي تعود للعصر الآشوري الحديث؛ إذ حوت على أساليب مختلفة في صناعتها، منها الأسلوب الفينيقي الذي طغى عليه الأسلوب المصري فضلًا عن الأسلوب الآرامي على بعض تلك القطع.
باقر، (1963)، ص 597.

3- كان للحملات العسكرية والحروب الاقتصادية الناجحة للملوك الآشوريين قد أسهم في زيادة القطاع الزراعي وتطوره الذي انعكس إيجابيا على انخفاض الأسعار وعبر سيطرة المملكة على مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية، الأمر الذي دفع إلى زيادة المنتجات الزراعية، ومن ثمّ زيادة المحاصيل الغذائية في المملكة.

4- اطلاع الآشوريين على بيئات متنوعة وغنية دفعهم إلى جلب منتوجات البلدان التي تجاورهم ونباتاتها، وتوطينها وزراعتها داخل حقولهم.

5- اعتماد المملكة الآشورية على ما يجاورها من البلدان في تزويدها باحتياجاتها الضرورية، التي كانت ترفد المؤسسة العسكرية الآشورية بالمعادن ولاسيما الحديد.

6- إسهام الملوك الآشوريين في دعهم للنشاط الاقتصادي عبر سيطرتهم على الطرق والمنافذ التجارية والعمل على تأمين سير القوافل التجارية، وهذا ما أسهم في زيادة واردات المملكة على حساب صادراتها، وهذا ما حقق ازدهارا اقتصاديًا متكاملًا للمملكة الآشورية.

7- إن الظروف السياسية دفعت بالآشوريين إلى الاعتماد على الزراعة والتجارة الخارجية التي تعد بمثابة الرئة التي تتنفس عبرها آشور، وهذا ما أسهم في تطور فئات المجتمع بجميع أشكاله.

8- يلاحظ أن سياسة الملوك الآشوريين لم تكن في سبيل تنشيط التجارة والاقتصاد فحسب بل عمل الآشوريين على توسيع حدود مملكتهم وتوطيد أركانها ساعيين إلى السيطرة الكاملة على الطرق التجارية والعسكرية في الاتجاهات كافة.

المصادر والمراجع العربية:

1–الأحمد، سامي سعيد،(1991)، التجارة موسوعة الموصل الحضارية، جـ1، الموصل.

2–الأحمد، سامي سعيد،(1977)، المستعمرة الآشورية في آسيا الصغرى،مجلة سومر، مج 33.

3–الجادر، وليد، (1971)، صناعة الجلود في بلاد الرافدين،مجلة سومر،مج27، جـ1–2

4–الجادر، وليد، (1991)، الصناعة، موسوعة الموصل الحضارية، مج1، الموصل.

5–الجادر، وليد، (1972)، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر، بغداد.

6–الفتيان، أحمد مالك، (1991)، نظام الحكم في العصر الآشوري الحديث، أطروحة دكتوراه، بغداد.

7–الراوي، فاروق ناصر، (1988)، العراق في موكب الحضارة الأصالة والتأثير، جـ1، بغداد.

8–الدباغ، تقي، (1985)، البيئة الطبيعية والإنسان (حضارة العراق)، جـ1، بغداد.

9–الدباغ، تقي، (1988)، الزراعة والتحضر(العراق في موكب الحضارة)، جـ1، بغداد.

10– أحمد، علي ياسين، (2000)، القبائل العربية في بلاد بابل خلال الألف الأول قبل الميلاد، وقائع ندوة الوطن العربي عبر التاريخ، بغداد.

11– أوبنهايم، ليو، (1986)، بلاد ما بين النهرين، تر: سعدي فيضي عبد الرزاق، ط2، بغداد.

12– ايمار، اندريه، وجانين ابواية: تاريخ الحضارات العام، تر فريد م.داغر وفؤاد ج. أبو ريمان، مج1، بيروت، 2006

13– باقر، طه، (1963)، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، جـ1، ط1، بغداد.

14– باقر، طه، (1953)، دراسة النباتات المذكورة في المصادر المسمارية، مجلة سومر، مج9، جـ1.

15– جاكبسون، التركيب الاجتماعي للامبراطورية الآشورية الحديثة، العراق القديم، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد.

16– حبة، فرج، (1969)، الكيمياء وتكنولوجيتها في العراق القديم، مجلة سومر، مج25، جـ1–2.

17– حتي، فيليب، (1958)، تاريخ لبنان وسورية وفلسطين، تر: جورج حداد وعبد المنعم رافق، جـ1، بيروت.

18– حمود، حسين ظاهر، (2000)، ابتكار النقود في العصر البابلي القديم والتعامل التجاري بالصكوك وتأثيره على البلدان المجاورة، بحث ألقي في الندوة العالمية لمهرجان بابل الدولي، بغداد.

19– حنون، نائل، مدن قديمة ومواقع أثرية، دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي خلال العصور الآشورية، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق.

20– ديلابورت، ول، بلاد ما بين النهرين حضارة بابل وآشور، ترجمة محرم كمال.

21– رشيد، فوزي، (1987)، الشرائع العراقية القديمة، ط3، بغداد.

22– ساكز، هاري، (1979)، عظمة بابل، تر: عامر سليمان، الموصل.

23– ساكز، هاري، (1999)، قوة آشور، تر: عامر سليمان، بغداد

24– سعيد، صفوان سامي، (2001)، ملكية الأراضي في العصور الآشورية، الموصل.

25– سعيد، صفوان سامي، (2006)، التجارة في بلاد آشور خلال الألف الأول قبل الميلاد في ضوء النصوص المسمارية، أطروحة دكتوراه، الموصل.

26– سليمان، عامر وآخرون، (1999)، المعجم الأكدي، جـ1، بغداد.

27– سليمان، عامر، (1988)، النظم المالية والاقتصادية، العراق في موكب الحضارة، جـ1، بغداد.

28– سليمان، عامر، (2002)، نماذج من الكتابات المسمارية، النصوص القانونية، جـ1، بغداد، 2002

29– سعيد، صفوان سامي، (2001)، ملكية الأراضي في العصور الآشورية، رسالة ماجستير، الموصل

30– سومو، دوبونت، (1963)، الآراميون، تر: الأب ألبير أيونا، سومر، مج19.

31– طه، منير يوسف، (1991)، علاقات الآشوريين مع الأقاليم المجاورة، (موسوعة الموصل الحضارية)، مج1، الموصل.

32– عبد الخالق، فريال داوود، (1988)، الزخرفة بالعاج جذورها في عصر ما قبل الإسلام وازدهارها في العصور الإسلامية، مجلة آفاق عربية،ع 3.

33– فرحان، وليد محمد صالح، (1976)، العلاقات السياسية للدولة الآشورية، رسالة ماجستير، بغداد.

34– كانجيك، إيفا، (2008)، تاريخ الآشوريين القديم، تر: فاروق اسماعيل، دمشق.

35– كونتينو، جورج، (1986)، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، تر: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، ط2، بغداد

36– محمد، رعد سالم، (2005)، الأحجار والمعادن في بلاد الرافدين، رسالة ماجستير، الموصل.

37– يانكوفسكا، (1976)، العراق القديم، بغداد.

References:

1- Driver ، G .R. and Miles، J.C ،(1935)، The Assyrian Laws , Oxford.

2- Elat, M,(1978), The Economis Relations of the Neo-Assyrian Empire With Egypt, (Jaos), vol 98,USA.،

3- Garelli, P, Marchands et Tamkaru Assyrian en Cappadoce, Iraq, vol 1.

4- Georgina, H, (1981), The Early Phases of its Trade, Iraq, vol 30, NO:1, London.

5- Laessoen,J, (1963), People of Ancient Assyria, London.

6- Larsen, M.T, (1967), Old Assyrian Caravan Procedures, Netherland.

7- Luckenbill, (1926), Ancient Records of Assyria and Babylonian, vol 1, Chicago.

8- Oates, D, (1968), Studies in the Ancient History of Northern Iraq, London.

9- Parpola, S, (1986), New Assyrian Treaties from the Royal Archives of Ninevehin, vol39, Newhaven.

10- Postgate, J.N, (1979), Taxation and Gonse Ription In the Assyrian Empirem, Rome.

11- Rander, K, (2001), "The Neo –Assyrian Period " security for Debt in Ancient Near Eastern Law, Netherlands.

12- Reynolds, F,(2003), The Babylonian Corespondence of Esarhaddon"SAA", vol 18, Finland.

13- Saggs, H.W. F, (1868), The Tell Al Rimah Tablets , Vol 30, Iraq.

14- Veenhof, K.R, (1972), Aspects of Old Assyrian Trade and its Terminology, Leiden.